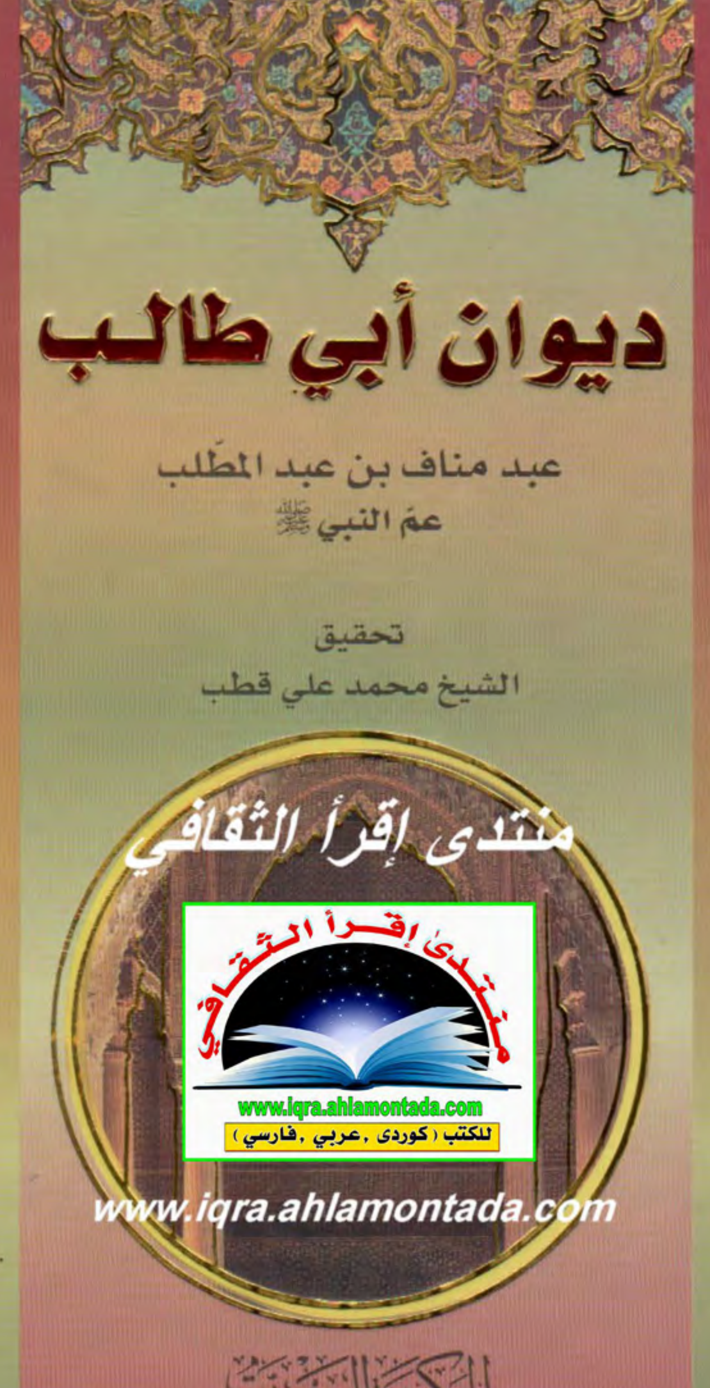


ديوان أبي طالب
عبد مناف بن عبد المطّلب
عمّ النبي ﷺ
تحقيق
الشيخ محمد علي قطب
منتدى إقرأ الثقافي
منتدى إقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com
للكتب (كوردى , عربي , فارسي)
www.iqra.ahlamontada.com
المكتبة العصرية
صيدا - بيروت


منتدى إقراء الثقافي

ديوان أبي طالب

"عبد مناف بن عبد المطلب"

عم النبي ﷺ

كافله في صغره وحاميه من قريش

اعتنى به

الشيخ محمد علي قطب



صيدا - بيروت



شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

E. Mail

alassrya@terra.net.lb

alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

ISBN 978-614-414-132-8


وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو طالب، عمُّ النبيّ ﷺ.

اسْمُهُ: عَبْد مناف،

وهذا الاسْم هو اسم أحد جدوده؛ فَهُوَ «عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم **بن عَبْد مناف**»، وهُوَ شقيق «عبد الله» ـ والد رسول اللّه ﷺ ـ فأُمُّهما واحدة هي «فاطمة بنت عمرو ابن عائذ بن عمران بن مخزوم» ومن هنا كان تَكْليف «عبد المطلب» لـ«أبي طالبِ» برعاية وكفالة رسول اللّه ﷺ بعد وفاته وكان عليه الصلاة والسلام قد بلغ من العمر ثماني سنوات.

ولقد عاش رسول اللّه ﷺ في كفالة عَمّه «أبي طالبِ» سنواتٍ طوالاً. . .

وكلِفَ «أبو طالب» بأبن أخيه كَلَفاً شديداً، وأحبّه حبّاً عظيماً. . .

ويحدِّثنا المؤرخون عن تلك الفترة فيقولون:

(كان «أبو طالبٍ» لا مال لهُ، وكان يحبُّهُ حُبّاً شديداً لا يُحِبُّهُ ولده، وكانَ لا ينامُ إلا إلى جنْبِهِ، ويخرج فيخرُجُ معه، وصَبَّ به «أبو طالبٍ» صبابة لم يصب بشيءٍ مثلها قط. . .، وكان يَخُصُّهُ بالطعام، وكان إذا أكل عيال «أبي طالبٍ» جميعاً، أو فُرادى، لم يشبَعُوا. .، وإذا أكل معهم رسول اللَّه ﷺ، شبعوا؛ فكان إذا أراد أن يُغدِّيهم قال: كما أنْتُم حتى يأْتي ولدي، فيأتي رسول اللَّه ﷺ فيأكل معهم، فكانوا يفضلون من طعامهم، وإن لم يكن معهم لم يشبعوا، فيقول «أبو طالبٍ»: إنَّك لَمُبارك؛ وكان الصبيان يُصْبِحون رُمْصاً شُعْثاً، ويُصْبِحُ رسول اللَّه ﷺ، دهيناً كحيلاً)[1].

عايش «أبو طالبٍ» رسول اللَّه ﷺ عُقوداً كثيرةً ـ زيادة على أربعين سنة ـ.

وكانت له فيها أيادٍ بَيْضاء، وحماية، وأشعارٌ مُتَفَرِّقَة، تروي أحداث تلك الفترة من عُمر النبيِّ ﷺ، من الطفولة إلى الشباب إلى الزواج إلى النُّبوَّة والرسالة. . ؛

وسوف يكون لنا مع كل قصيدةٍ مَوْقف وشرح وبيان ـ إن شاء اللَّه تعالى ـ.

---

(١) «البداية والنهاية» (ج: ٢) (ص: ٣٤٤) نقلاً عن طبقات «ابن سعد» [ج: ١/ ١١٩].

أوَّلُ الغيث:

قال «أبو طالب» يمتدح رسول اللَّه ﷺ:

إذا اجتمعت يوماً «قُرَيش» لِمَفْخرٍ
فَعَبْد منافٍ سرُّها وصميمها

فإن حصلت أشرافُ «عبد منافها»
ففي هاشم أَشْرافُها وقديمها

وإن فَخَرَتْ يَوْماً فإن «مُحَمَّداً»
هو المصطفى من سرها وكريمها

تداعت «قريش» غثُّها[1] وسمينُها
علينا فلم تظفر وطاشت حُلُومها

وكُنَّا قديماً لا نُقِرُّ ظلامةً
إذا ما ثَنوا صُعْر الخُدُودِ نُقيمُها[2]

ونحمي حماها كُلَّ يَوْمٍ كريهةٍ
ونَضْرِب عن أَحْجارها من يرومُها

بنا انْتَعَشَ العودُ الذواء وإنما
بأكْنافنا تَنْدى وتَنمى أرومُها[3]

۞ ۞ ۞

---

(١) الغثُّ: اللحم الضّعيف، هنا استعارة لضعيف النسب.

(٢) صُعْر الخدود: إمالتها تكبُّراً وعَجرفةً.

(٣) العود الذواء: الذابل. والأروم: الأصول والجذور.

وحين نُبِّىء رسول اللَّه ﷺ، واشْتَدَّت الخصومة من قُرَيْش للدين الحنيف، كانوا يأتونَ إلى «أبي طالبٍ» يرجُونه أَنْ يَرْدَع عَنْهم ما يقوله ابن أخيه.

ولقد حَدَّثنا عن إحدى هذه اللقاءات، «عقيل بن أبي طالب»، قال:

جاءَت «قريش» إلى «أبي طالبٍ» فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومَسْجدنا فأنْهَهُ عنا...

فقال: يا «عقيل» انطلق فأْتني بـ«محمد»،

فأنطلقتُ إليه فاسْتَخْرَجْتُهُ من ـ كَنَس[1] ـ (أو قال: خُفْي) [يقول: بيْت صغير]، فجاء به في الظهيرة في شِدَّةَ الحرّ، فلما أتاهم قال: إن بني عمك هؤلاء زعموا أَنَّك تؤذيهم في ناديهم ومَسْجدهم، فأنْتهِ عن أذاهم..!

فَحلَّق رسول اللَّه ﷺ، ببصَرِه إلى السماء، فقال: «**تَرَوْن هذه الشمس؟**» قالوا: نعم. قال: «**فما أنا بأقْدر أن أدَعَ لك منكم على أن تشعلوا منه بِشُعْلةٍ**».

فقال «أبو طالب»: والله ما كذب ابن أخي قط... فارجِعُوا.

❁ ❁ ❁

---

(١) الكنس: هو الكنُّ يأوى إليه الإنسان.

وفي مَرَّة ثانيةٍ... قال «أبو طالب» لسيّدنا رسول اللّه ﷺ: يا ٱبن أخي أبْقِ عليَّ وعلى نفسك ولا تُحمّلني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فٱكْفُف عن قوْمك ما يكرهون من قولك.

فظن رسول اللّه ﷺ أنه قد بدا لِعَمّه فيه...، وأنه خاذله ومُسْلِمُه، وضَعُف عن القيام معه؛ فقال ﷺ: «**يا عَم لوْ وُضِعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك في طلبه**» ثم اسْتعْبَرَ رسول اللّه ﷺ فبكى...، فلما وَلّى قال له حين رأى ما بَلغ الأمر برسول اللّه ﷺ: «**يا ٱبْن أخي... امْضِ على أمْرِك، وٱفْعَل ما أحْبَبْتَ فوالله لا أُسْلمك لِشَيْء أبداً**»، ثم أنشد:

والله لن يَصِلُوا إليْكِ بجمْعِهِم
حتى أُوسّدَ في التراب دفينا
فٱمضي لأمرك ما عَلَيْك غضاضة
أبشر وقرّ بذاك فِيك عُيُونا[١]
وَدَعَوْتني وعَلِمْتُ أنك ناصحي
فلقد صَدَقْتَ وكُنْتَ قِدْم أمينا[٢]

---

(١) فٱمضي: إثبات الياء في فعل الأمر فقط من أجل الوزن الشعري؛ وإلا فإنها: «ٱمض». ما عليْك غضاضة: لا ملامة ولا بأس.
(٢) وكُنْتَ «قدمَ أمينا»: إذ عُرِف ﷺ منذ نعومة أظفاره بلقب: الأمين.

وعـرضـت ذنـبـاً قـد عـرفـت بـأنَّـه
مـن خـيـرِ أديـان الـبـريـةِ ديـنـا
لـوْلا الـمـلامـة أوْ حـذاري سُـبَّـةً
لـوجـدتـنـي سَـمْـحـاً بـذاك مـبـيـنـا

وحين اشتد أذى المُشركين للمسلمين، فقامت كل قبيلةِ على مَنْ أَسلَم منها، تعذّبُه حتى يكفرَ بـ«محمد ﷺ» وبالإسلام.

فلما رأى «أبو طالب» ذلك، دعا بَني هاشم «بني عبد المطلب» إلى ما هُوَ عليه من حماية رسول اللهﷺ، والقيام دونه، فاْجتمعوا إليه وقاموا مَعَهُ جميعاً، إلا ما كان من «أبي لهب» ـ عبد العُزَّى بن عبد المطلب» فإنَّه فارق قوْمه، وانضَمَّ إلى عُصْبةِ الأشرار.

وفي ذلك أنشد «أبو طالبٍ» فقال:

إذا اجـتـمـعـت يـومـاً قـريـش لِـمَـفْـخَـرٍ
فـ«عـبـد مـنـافٍ» سِـرُّهـا وصـمـيـمـهـا
وإن حـصـلـت أشـراف عَـبْـد مـنـافـهـا
فـفـي هـاشـم أشـرافُـهـا وقـديـمـهـا
وإن فـخـرت يـومـاً فـإن «مـحـمـداً»
هـو الـمـصـطـفـى مـن سِـرّهـا وكـريـمـهـا

تداعت قريش[١] غثُّها وسمينها
علينا فلم تظفر وطاشَتْ حُلُومها[٢]
وكُنَّا قديماً لا نُقرُّ ظلامةً
إذا ما ثنوا صُعْر الرقاب نقيمها[٣]
ونحمي حماها كل يومِ كريهةٍ
ونضرب عن أحجارها من يرومها[٤]
بنا انتَعَش العودُ الذَّواء وإنما
بأكنافنا تندى وتنمى أُرومُها[٥]

قال «ابن إسحاق»:

لمَّا خشي «أبو طالب» دُهْمَ[٦] العرب أن يركبُوه[٧] مع قومِهِ، قال قصيدته التي تعوّذ فيها بحرَمِ «مكة»، وبمكانِهِ منها، وتودَّد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يُخبرُهم ـ وغيرهم ـ في شعرِهِ أنه غير مُسْلِمِ

(١) الغَثُّ: من لا نَسَب له.
(٢) حلومها: عقولها.
(٣) نقيمها: نُقَوّمُها.
(٤) أخجارها، أو أجحارها كما عند «ابن هشام»، يعني بيُوتها.
(٥) العود الذَّواء: الذابل الذي جفَّت رطوبته ولُيُونته. وأرومها: جذورها وأصولها.
(٦) الدُّهم: الدهماء.
(٧) يَرْكَبُونَهُ: يغلبونَهُ.

لرسول اللّه ﷺ، ولا تاركه لشيءٍ أبداً حتى يهلك دونه، فقال:

ولـمـا رأيـت الـقـوْم لا رُدَّ فـيـهـم
وقـد قـطـعـوا كُـلّ الـعُـرى والـوسـائـل
وقـد صـارحـونـا بـالـعـداوةِ والأذى
وقـد طـاوعـوا بـأمـر الـعـدوِّ الـمـزايـل
وقـد حـالـفُـوا قـومـاً عـلـيـنـا أظِـنَّـةً
يـعـضّـون غَـيـظـاً خَـلْـفـنـا بـالأنـامـل
صَبَرْت لـهـم نفسي بسمراء سمحةٍ
وأبيض عضْبٍ من تراث المقاول[١]
وأحْضرت عند البيْت رهطي وإخوتي
وأمسكت من أثوابه بالوصائل[٢]
قـيـامـاً مـعـاً مـسـتـقـبـلـيـن رتـاجَـه
لدي حَيْث يقضي خلقهُ كُلّ نافل[٣]
وحـيْـث يُـنـتِـج الأشـعـرون ركـابـهـم
بمفضى السُّيُول من إسافٍ ونائل[٤]

---

(١) العضب: القاطع. المقاول: الملوك.

(٢) الوصائل: بأطراف كسوة الكعْبَة.

(٣) النافل: المتبرّئ.

(٤) إساف ونائل: صنمان عِنْد الصَّفا والمرْوة.

مــوسَّــمَــة الأعــضــاد أو قَــصُــراتــهــا
مُــخَــيَّــســة بـيْــن الــســديــس وبــازل[١]

تــرى الــودْع فــيــهــا والــرخــام رزيــنــة
بــأعــنــاقــهــا مــعــقــودة كــالــعــثــاكــل[٢]

أعــوذُ بــرب الــنــاس مــن كــل طــاعــنٍ
عــلــيــنــا بــســوءٍ أو مُــلِــحٌ بــبــاطــل

ومــن كــاشــحٍ[٣] يَــسْــعــى لــنــا بــعــيــبــةٍ
مِــن مُــلْــحــق فــي الــديــن مــا لــم نــحــاول

و«ثــور» مــن أرســى «ثــبــيــراً» مــكــانــه
وراقٍ لــيــرضــى فــي «حــراء» نــازل[٤]

وبــالــبــيْــت حــق الــبــيــت مــن يــطْــن مــكَّــة
وبــالــلَّــه إن الــلَّــه لــيــس بــغــافــلِ

وبــالــحــجــر الــمــسْــودّ إذ يَــمْــســحــونَــهُ
إذا اكــتــنَــفُــوهُ بــالــضُّــحــى والأصــائــل

---

(١) موسَّمة: معلَّمة. والقصرات جمع قَصُرة، وهي أَصْل العُنُق. المخيَّسة: المذلَّلة. والسديس من الإبل: الذي دخل في السنة الثامنة، والبازل: الذي خَرَج نابُهُ، وذلك في السنة التاسعة.

(٢) العثاكل، جمع: عثكول، وأصلها: عثاكيل، حذفت الياء للضرورة، وهي: الأغصان التي ينبُتُ عليها الثَّمر.

(٣) كاشح: مُبْغض.

(٤) «ثور» و«ثبير»: جبلان بـ«مكة» وحراء: غار حراء.

ومَوْطِن «إبراهيم» في الصّخْر رطْبةً
على قدميه حافياً غير ناعِلِ[(١)]
وأشواطِ بيْن المرْوتَيْن إلى الصفا
وما فيهما من صورةٍ وتماثل[(٢)]
ومن حَجّ بيْت اللّه من كل راكب
ومن كل ذي نَذْرٍ ومن كل راجل
وبالمشعَرِ الأقصى[(٣)] إذا عمدوا له
الإل[(٤)] إلى ذي مفضي الشراج القوابل
وتوْقافهم فوق الجبالِ عشيَّةً
يقيمون بالأيدي صدور الرَّواحل
وليْلة جَمْعٍ والمنازل من مِنىً
وهو فوقها من حُرْمةٍ ومنازل

(١) غير ناعل: حافي القدمين.
(٢) وما فيهما من صورة وتماثل: ما عليهما من مسْخينِ لِـ«إساف» و«نائلة» إذ يُقال بأنهما زنيا في الكعبة فمسخهما اللّه تعالى صنمين.
(٣) المشعر الأقصى: عرفة.
(٤) الإل: جبل عرفة. قال «النابغة الذبياني»:
يَزرْن إلالاً سيرهُنّ التّدافع
وسُمي كذلك لأن الحجيج إذا رأوه ألوا في السير واجتهدوا فيه ليدركوا الموقف، والشراج: جمع شَرْج، وهو: سيْل الماء.

وجَـمْـعٍ إذا مـا الـمـقـرُبـات أَجَـزْنَـهُ
سراعاً لما يَخْرجْن من وقع وابل[١]
وبـالـجـمـرة الـكـبـرى إذا صـمـدوا لـهـا
يـؤمُّـون قَـذْفـاً رأسـهـا بـالـجـنـادل[٢]
وكِـنـدة إذ هـم بـالـحـصـاب عـشـيَّـة
تـجـيـز بـهـم حـجَّـاج بـكـرٍ ووائـل
حـلـيـفَـان شـدًّا عـقـد مـا اخـتـلـفـا لـه
وردًّا عـلـيـه عـاطـفـات الـوسـائـل
يـصـطـحـبـهـم سُـمْـر الـرمَـاحِ وسـرْجـه
وشَـبْـرقـه وخْـدُ الـنِّـعـام الـجـوافـل[٣]
فـهـل بـعـد هـذا مـن مـعـاذٍ لـعـائـذٍ
وهـل مـن مُـعـيـذٍ يَـتَّـقـي الـلَّـه عـادل
يُـطـاعُ بـنـا أثـر الـعـدا ودَّ أنـنـا
يـشـدُّ بـنـا أبـواب تُـركٍ وكـابـل[٤]
كـذبْـتُـم ـ وبـيـت الـلَّـه ـ نـتـرك قـلّـةً
ونـظـعَـنُ إلا أمـركـم مـن بـلابِـلِ

---

(١) وَقْع وابل: سقوط المطرِ غزيراً ولهُ دويّ.
(٢) صمدوا لها: قصدوها ـ يؤمّون: يقصدون ـ الجنادل: الأَحجَار.
(٣) السّمر: شجر الطلع. السَّرح: شجَرٌ عظام. الشّبْرق: نبات يقال ليابِسِه: الحلى، ولرطْبِهِ: الشّبْرق. الوخدُ: السير السريع؛ والجوافل: المسْرعة.
(٤) تُرَك وكابل: اسْما جبليْن.

كذبتم ـ وبيتُ اللَّه[١] ـ نبذى[٢] محمداً
ولـمَّـا نـطـاعـن دُونَـهُ ونُـنـاضـل
ونُـسْـلـمـه حـتـى تَـضـرعَ حـوْلـه
ونـذْهـل عـن أبـنـائـنـا والـحـلائـل[٣]
ويـنـهـض قـوم بـالـحـديـد إلـيْـكُـم
نهوض الروايا[٤] تحت ذات الصلاصل[٥]
وحتى نرى ذا الضّغْنِ يركب رذْعه[٦]
من الطعن فعل الأنكب المتحامل
وإنـا ـ لـعـمْـر الـلَّـه ـ إن جَـدَّ مـا أرى
لَـتَـلْـتَـبِـسَـنْ أسـيـافـنـا بـالأمـاثـل[٧]
بِـكَـفَّـيْ فـتـى مـثـل الـشـهـاب سـمـيـدعٍ
أخي ثقةٍ حامي الحقيقة باسل[٨]

---

(١) بيْت اللَّه: . . . الكعبة الشريفة.
(٢) نبذى: نغلَبُ عليه.
(٣) الحلائل: النساء ـ الزَّوْجات ـ.
(٤) الروايا: الإبل التي تحمل قِرَب الماء، واحدتها: راوية.
(٥) الصلاصل: المِزادات لها صلصلة بالماء.
(٦) يركب رذْعه: يخرُّ صريعاً لِوَجْهِهِ.
(٧) الأماثل: رؤوس القوم وأسيادهم.
(٨) السميدع: السيِّد، باسل: من البسالة، وهي الشجاعة بِعَيْنها.

شــهــوراً وأيــامــاً وحــوْلاً مــحــرَّمــاً
عـلـيـنـا وتـأتـي حـجَّـة بـعـد قـابـل[١]
ومـا تـرك قـوْم ـ لا أبـا لـك ـ سـيِّـداً
يـحـوط الـذّمـار غـيـر ذرْبٍ مـواكـل[٢]
وأبْـيـض يُـسْـتَـسْـقى الـغـمـام بِـوَجْـهِـهِ
ثـمـالِ الـيـتـامـى عِـصـمَـةٍ لـلأرامـلِ[٣]
يـلـوذ بـهِ الـهـلال مـن آل هـاشـم
فـهـم عـنـده فـي رحـمـةٍ وفـواضـل
لَـعَـمْـري لـقـد أجـرى أسـيـد وبَـكْـرهُ
إلـى بـغـضـنـا وجـزآنـا لآكـلِ[٤]
وعـثـمـان لـن يَـرْتـع عـلـيّـاً وقُـنْـفُـذ
ولـكـن أطـاعـا أمـر تـلـك الـقـبـائـل[٥]

(١) في السيرة مجرّماً بدل محرماً، والحوْل المجرَّم: الكامل، يُقال: يُحرَّم العام والشتاء، وتصرَّم الصيف.

(٢) الذرب: الفاحش النُّطق، والمواكل: العاجز الذي يكل الأمور كلها إلى غيره.

(٣) وأبْيض يُسْتَسْقى الغمام بوَجْهه؛ يعني: رسول اللّه ﷺ، يُستَسْقى به المطر؛ ملاذ لليتامى والأرامل.

(٤) أسيد وبكْره: عتّاب بن أسيد بن أبي العيص.

(٥) عثمان: هو ابن عُبَيْد اللّه أخو طَلْحة، وقُنْفُذ: هو ابن عُمير بن جذْعان.

أطاعا أُبَيّاً وابن عبْدِ يَغوثهم
ولم يرقُب فينا مقالة قائل[١]

كما قد لقينا من «سبيعٍ» و«نوفلٍ»
وكُلٌّ تولّى معرضاً لم يجامل[٢]

فإن يلْفيا أو يُمكن اللّه منهما
نَكِلْ لهما صاعاً بصاع المكايل

وذاك «أبو عمرو» أبى غير بغضنا
لِيطعننا في أهل شاءٍ وجامل

يُناجي بنا في كل ممسى ومُصْبِح
فناج أبا عمروٍ بنا ثم خاتل[٣]

ويولي لنا باللّه ما إن يَغْشنا
بلى قد تراهُ جَهرةً غير خائل[٤]

---

(١) أُبَيّاً: هو أبي بن الأخنس بن شريق، وسُمّي بـ«الأخنس» لأنه خنس بالقوم يوم بَدْرٍ.

(٢) «سبيع» و«نوفل»: هما سُبَيْع بن خالد، أخو بالحارث بن فهر.
ونوْفل هو: ابن خُوَيْلد بن أسد بن عبد العُزّى، ويعرف بـ«ابن العدوية» وكان من شياطين قريش وأكثرهم عداوة للدين الحنيف، وهو الذي قَرَن «أبا بكر الصديق» و«طلحة بن عبيدٍ» في حَبْل؛ ومن ثم عُرِفا بـ«القرينيْن».

(٣) خاتلْ: خادِعْ.

(٤) يولي: يُقسم ويحلف.

أضـاق عـلـيـه بـغـضـنـا كـل تـلْـعـةٍ
مـن الأرض بيْـن أخْشُـبٍ فـمـجادِلِ[(١)]
وسـائِـلْ «أبـا الـولـيـد» : مـاذا حَـبَـوْتـنـا
بِـسَـعْـيك فـيـنـا مـعـرضـاً لـمُـخـاتِـلِ
وكـنـت امـرأً فَـمـن يُـعـاش بـرأيِـهِ
ورحـمـتـه فـيـنـا ولـسـت بـجـاهـل
فـ«عُتْبَةُ»[(٢)] لا تَسْمع بنا قول كاشح[(٣)]
حسـودٍ كـذوبٍ مبْغضٍ ذي دغـاوِلِ[(٤)]
ومَـرَّ «أبـو سـفـيـان» عـنـي مُـعْـرِضـاً
كـمـا مَرَّ قَـيْـل من عـظـام الـمـقـاول[(٥)]
يـفـر إلـى «نـجـد» وبـرْد مـيـاهِـهِ
ويـزعـم أنـي لـسـت عـنـكـم بـغـافـل
ويـخـبـرنـا فِـعْـل الـمُـنـاصـح أنَّـهُ
شـفـيـق ويـخـفـي عـارمـات الـدواخـل[(٦)]

(١) الأخشب : الجبل . المُجادل : الصُخور العظيمة .
(٢) عُتْبَةُ : أبو هشام .
(٣) كاشح : مُبْغضٍ .
(٤) الدغاول : الغوائل . [الأمور الفاسدة] .
(٥) أبو سفيان : صَخر بن حَرْب بن أمية ، كما مَرَّ . قيْل : القيْل : الملك .
(٦) عارمات الدواخل : مما في نَفْسِهِ من عداوةٍ شديدةٍ وبغضاء .

أ «مطعم» لم أَخْذلْكَ في يوم نَجْدَةٍ
ولا مُعْظم عند الأمور الجلائل
ولا يوم خَصم إذ أَتـوْك أَلـدَّةً
أولي جَدَلٍ من الخصوم المساجل(١)
أ «مطعم» إن القوْم ساموك خُطة
وإلى متى أُوكل فَلَسْتُ بوائل
جزى اللَّه عنا «عبد شمس» و«نَوْفلاً»
عقوبة شَرٍّ عاجلاً غير آجل
بميزان قِسْط لا يخيس شُعَيْرةً
له شاهد من نفسه غير عائل(٢)
لقد سفهت أحلام قوْم تبدّلوا
بني خلف فيضاً بنا والغياطل(٣)
ونَحن الصميم من ذؤابة هاشم
وآل قُصَيّ في الخطوب الأوائل
و«سهم» و«مخزوم» تَمالُوا وأَلّبُوا
علينا العِدى من كل طمْل وخامل(٤)

---

(١) المساجل؛ مُفْردُه: مِسْجَل، وهو الخصْم. وقيل: الخطباء البلغاء.
(٢) لا يخيس: لا ينقص.
(٣) الغياطل: «بنو سَهْم».
(٤) تمالُوا: تخفيف من تمالأوا ـ أي: تحالفوا ضِدَّنا. الطَّمْل: الرجل الفاحش؛ وقيل: اللّص.

فعبْد منافٍ أنتُم خير قَوْمكم
فلا تشركوا في أَمركم كُلّ داغل
لعَمْري لقد وهنْتُمْ وعجزْتم
وجئتُم بأمرٍ مخطىءٍ للمفاصل
وكُنْتم حديثاً حطب قدْرٍ وأنْتم
الآن أحْطاب أقدُرٍ ومراجل(١)
ليهنئ بني عبد منافٍ عقوقنا
وخذلاننا وتركنا في المعاقِلِ
فإن نَكُ قوْماً نَتق ما صنعْتُم
وتحتلبوها لقْحةً غير باهل(٢)
فأبلِغْ قُصيّاً أن سينشر أَمْرُنا
وبشّر قُصَيّاً بعدنا بالتَّخاذُلِ
ولو طرقت ليلاً قصيّاً عظيمة
إذا ما لجأنا دونهم في المداخل
ولو صَدَقوا ضَرْباً خلال بيُوتهم
لكنَّا أسىً عند النساء المطافل

(١) المراد: كنتم متفقين لا تحطبون إلا لِقدْر واحدة، وأنتم الآن بخلاف ذلك.
(٢) لُقحة غير باهل: اللقحة: الناقة ذات اللبن؛ والباهل: التي لا صرار لها على أخلافها فهي مباحة الحلب.

فـكـل صـديـق وابـن أخْـتٍ نـعـدُّهُ
لَـعَـمْـري وجـدْنـا غِـبَّـةُ غـيـر طـائـل
سـوى أن رهـطـاً مـن كـلاب بـن مـرَّة
بـراءٌ إلـيْـنـا مـن مـعـقَّـةِ خـاذِلِ
وتـنجـم ابـن أُخْـتِ الـقـوم غـيـر مـكـذّبِ
زهـيـر حـسـامـاً مُـفْـرداً مـن حـمـائـل[(١)]
أَشَـمَّ مـن الـشُّـمِّ الـبـهـالـيـل يـنْـتـمـي
إلـى حَـسَـب فـي حـومـة الـمـجـد فـاضـل
لَـعَـمْـري لـقـد كُـلّـفـت وجْـداً بـأخـمـدٍ
وإخـوتـه دأب الـمـحـبّ الـمـواصـل
فَـمَـنْ قـيـلـه فـي الـنـاس أي مـؤمَّـل
إذا كـاسَـهُ الـحـكَّـام عـنـد الـتـفـاضُـل
حـلـيـم رشـيـد عـادل غـيـر طـائـشٍ
يُـوالـي إلٰـهـاً لـيـس عـنـه بـغـافِـلِ
كـريـم الـمـسـاعـي مـاجـدٌ وابـن مـاجـدٍ
لـه إرْث مـجْـد ثـابـت غـيـر نـاصـل
وأيَّـده رب الـعـبـاد بَـنْـصـرِه
وأظـهـر ديـنـاً حـقّـه غـيـر زائـل[(٢)]

(١) من حمائل: قبله أبيات وردت في «السيرة ـ لابْن هشام».
(٢) هذا البيت والذي قبله سقط من «السيرة ـ لابن هشام».

فـوالــلَّــه لــولا أن أجــيء بِــسُــبَّـةٍ
تـجرُّ عـلى أشـياخـنـا فـي الـمحـافـل
لـكُـنّـا تـبـعـنـاه عـلـى كـل حـالـةٍ
مـن الـدَّهـر جـداً غـيـر قَـوْلِ الـتـهـازُل
لـقـد عـلـمـوا أن ابْـنـنـا لا مـكـذّب
لـديْـنـا ولا يُـعْـنـى بـقـوْل الأبـاطـل
فـأصْـبـح فـيـنـا أحـمـد فـي أُرُومـةٍ
يـقـصّـر عـنـهـا سـوْرة[1] الـمـتـطـاول
فَـدَيْـتُ بـنـفـسـي دُونَـهُ وحـمـيْـتُـه
ودَافـعْـتُ عـنـه بـالـذّرى والـكـلاكـل

ويتذكَّر «أبو طالبٍ» هِجْرة المسلمين الأوائل إلى «الحَبَشَةِ» وفيهم ولده «جَعْفر» ـ رضي اللَّه عنه ـ، وكان من أحبِّ أبنائه إليه، فيقول:

ألا ليْت شِعْري كَيْف في النّأْي «جَعْفَرُ»
و«عـمـرو»[2] وأعـداء الـعـدوّ الأقـارب

(١) سوْرة: بفتح السّين: الشّدَّة والبطش، وَبِضَمِّها: المنْزلة.

(٢) «عمرو»: هو «عمرو بن العاص بن وائل السَّهْمي» الذي أَوْفَدَتْهُ قريش إلى الحبشة ليستردَّ المسلمين المهاجرين؛ وكان «عمرو» على صلةٍ وثيقةٍ بالنجاشيِّ ملك الحبشة، ويعتبره النجاشيُّ صديقاً له.

وما نالت أفعال «النجاشيّ» «جَعْفراً»
وأصحابَهُ أو عاق ذلك شاغبُ[١]
وتعلم ـ أبيْت اللّعْن ـ أنّك ماجدٌ
كريم فلا يشقى إليك المجانِبُ[٢]
وتعلم أن اللّه زادك بسْطةً
وأسبابَ خَيْرٍ كُلّها بك لازبُ[٣]

(يقول «ابن كثير» ـ رحمه اللّه ـ في «البداية والنهاية» [٣ : ٤٠] [ص: ١٠٨]):

وقال «ابن هشام» عن «زيادٍ» عن «محمد بن إسحاق»:

فلمَّا رَأتْ قريش أن أصحاب رسول اللّه ﷺ، قد نزلوا بلداً أصابوا منه أَمْناً وقراراً، وأن «النجاشيّ» قد مَنَع مَنْ لجأ إليه منهم، وأن «عُمر» [ابن الخطاب] قد أسلم، فكان هو و«حَمْزَة» [ابن عبد المطلب] مع رسول اللّه ﷺ وأصحابه،

---

(١) في «السيرة لابن هشام»: وهل نالت بَدَل: وما نالت، وفي نسخةٍ لابن هشام: فَهَلْ نال أفعال.

(٢) في السيرة لابن هشام: لديْك بدلاً من إليك. أبيْت اللّعْن: تحيّة كانوا يُحيُّون بها الملوك في الجاهلية.

(٣) بعد هذا البيْت عند «ابن هشام»:

وإنَّك فيض ذو سجالٍ غزيرةٍ ينال الأعادي فعلها والأقارب

ولازب: مُلْتَصِق؛ أي إن هذه الصفات والسجايا من صميم ما خَصَّك اللّه تعالى بِهِ.

وجعل الإسلام يفشو في القبائل، فاجْتَمعوا وأْتمروا على أن يَكْتُبُوا كتاباً يتعاقدون فيه على «بني هاشم» و«بني المُطلب»: على أن لا يَنْكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك كَتَبُوا صحيفةً، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علَّقُوا الصحيفة في جَوْفِ الكعبة توكيداً على أَنْفُسهم، وكان كاتب الصحيفة «مَنْصُور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عَبْد مناف بن عبد الدَّار بن قُصَيّ»...!

قال «ابن هشام»: ويُقال: «النَّضْر بن الحارث»...!

فدعا عليه رسول اللَّه ﷺ، فشلَّ بعض أصابعِهِ...!

وقال «الواقدي»: كان الذي كتب الصحيفة: «طلحة بن أبي طلحة العبْدري».

ويقول «ابن كثير»: والمشهور أنه «مَنْصور بن عِكرمة» كما ذكره «ابن إسحاق» وهو الذي شُلَّتْ يَدُهُ فما كان ينتفع بها، وكانت قريش تقول بَيْنها: انظروا إلى «منصور بن عكرمة») اهـ.

۞ ۞ ۞

فلما اجتمعتْ «قريش» على ذلك وصَنَعُوا فيه الذي صنعوا قال «أبو طالب»:

ألا أَبْلغا عَني على ذات بيْننا
«لُؤَيّاً» وخُصّا من «لُؤَيٍّ»: «بني كَعْبِ»
ألم تعلموا أنَّا وَجَدْنا محمداً
نبيّاً كـ«موسى» خُطّ في أوَّلِ الكتبِ

وأنّ عـلـيـه فـي الـعـبـاد مـحـبّـة
ولا خـيـرَ مِـمَّـن خَـصَّـه الـلَّـه بـالـحُـبِّ
وأن الـذي ألـصـقْـتُـمـو مـن كـتـابـكـم
لـكـم كـائـنٌ نَـحْـساً كَـراغـيـة السَّـقْـبِ[١]
أفيقوا... أفيقوا... قبل أن يُحفر الثرى
ويُصبح من لـم يَجنِ زيتاً كذي الأنْب
ولا تـتـبـعـوا أمـر الـوُشـاةِ وتَـقْـطـعـوا
أواصـرنـا بـعـد الـمـوَدَّةِ والـقُـرْب
وتَـسْـتَـجـلـبُـوا حَـرْبـاً عـوانـاً ورُبَّـمـا
أَمَـرَّ عـلـى مـن ذاتـه حَـلَـبُ الـحـرْبِ
فَـلَـسْـنـا ـ وَربِّ الـبـيْـتِ ـ نُـسْـلـم أحـمـداً
لِـعَـزّاء مـن عَـضّ الـزّمـان ولا كـرْب
ولـمّـا تَـبِـنْ مـنـا ومـنـكـم سـوالـف
وأَيْـدٍ أُتَـرَّتْ بـالـقـسـاسـيـة الـشُّـهْـب[٢]

---

(١) راغية السَّقْب: من الرُّغاء وهو صَوْتُ الإبل، والسَّقب: وَلَدُ الناقة، وأراد به هنا وَلَدُ ناقَة «صالح» عليه السلام، حين رغا بعد أَنْ ذُبِحَتْ أمُّه، وأنزل اللّه تعالى على «ثمود» عذابه بالطاغية. **﴿فأما ثمود فأُهْلِكُوا بالطاغية﴾** [الحاقة: ٥].

(٢) تَبِنْ: تظهر وتبدو. سوالف: ما سَلَف ومضى.
أُتَرَّتْ: قطعتْ. القساسيةُ: سيوفٌ تُنسب إلى «قساس» وهو جبل لـ«بني أسدٍ» فيه معْدن الحديد.

بِـمُـعْـتـركٍ ضـيـقٍ تـرى كِـسَـر الـقـنـا
به والنُّسور الطُّخْم يعكفْن كالشّرب[١]
كَـأنَّ مـجـال الـخـيـل فـي فُـجـرانـهِ
ومَـغْـمَـعـةِ الأبـطـال مـعـركـة الـحـزبِ
ألـيْـس أبـونـا «هـاشـم» شـدَّ أَزْره[٢]
وأوصى بـنـيـه بـالـطّـعـانِ وبـالـضَّـرْب
ولـسـنـا نَـمَـلُّ الـحـرب حـتـى تـمِـلَّـنـا
ولا نشتكي ما قَد ينوبُ من النّكْبِ[٣]
ولـكـنـنـا أهـل الـحـفـائـظ والـنُّـهـى
إذا طـار أرْواح الـكـمـاةِ مـن الـرُّعْـب[٤]

ويُعاتب «أبو طالب» أَخاهُ «أبا لهبٍ» ـ «عبد العُزى ابن عبد المطّلب» ـ لكوْنِهِ يَقِفُ موقف العداوة الشديدة لابْنِ أخيه «رسُول اللَّه ﷺ»، وتحالُفه مَعَ البُغاةِ مِن الظَّلَمةِ من قُرَيْش» ويدعوهُ إلى غير هذا الموْقف؛ فيقول له:

(١) كِسَر القنا: حُطام الرماح. النُّسور الطّخم: ذات الرؤوس السُّوْداء ـ الشديدة القوية. يعْكفْن: يَجْتمعن.
(٢) شَدَّ أزره: اسْتَعَدَّ.
(٣) ينوبُ من النّكْب: ما يصيبها من النّكبات.
(٤) أهل الحفائظِ والنُّهى: أَهْل الثّبات والصَّبْر على الشدائد؛ فعقُولنا لا تطيش ولا تطير كما تطير أرواح الشُّجعانِ عند الرُّعْب والفَزَع.

إن امْـرَأً[١] «أَبُـو عُـتَـيْـبَـة»[٢] عـمُّـه
لـفـي روْضـةٍ مـا إن يُـسـام الـمـظـالـمـا
أقـولُ لـه، وأيـن مـنـه نـصـيـحـتـي:
«أبـا مُـغـتـبِ» ثـبّـتْ سـوادك قـائـمـا[٣]
ولا تـقـبـلـنَّ الـدهـر مـا عـشـتَ خُـطّـةً[٤]
تـسـبُّ بـهـا إمَّـا هـبـطْـت الـمـواسـمـا[٥]
وولِّ سـبـيـل الـعَـجْـز غَـيْـرك مـنـهـم
فـإنـك لـم تُـخْـلـق عـلـى الـعـجـز لازمـا
وحـارِبْ فإنّ الحربَ نَصْفٌ[٦] ولن ترى
أخـا الـحـرْبِ يُـعْطى الحقّ حتى يُسالما
وكـيْـف ولـم يَـجـنـوا عـلـيـك عـظـيـمـةً
ولـم يـخـذلـوك غـانـمـاً أو غـارمـا[٧]
جـزى الـلّـه عـنـا «عَـبـد شـمـس» و«نـوْفـلاً»
و«تَـيْـمـاً» و«مـخـزومـاً» عُـقـوقـاً ومـأْثـمـا[٨]

---

(١) إن امرأً: يعني رسول اللّه ﷺ.
(٢) أبو عُتَيْبَة؛ في الأصل وعند «ابن هشام»: أبا معتب، وكُنْيَتُه: أبو عُتْبة.
(٣) ثبّتْ سوادَك؛ أي: شخصك مُسْتَوياً دونَ اعْوجاجٍ عن الحقّ، ودون الْتواء.
(٤) خُطّةً: سبيلاً وطريقاً.
(٥) المواسما: أيّام اجتماع القبائل للحجّ.
(٦) نَصَف: عدْلٌ وفَصْل.
(٧) غانماً: رابحاً. غارماً: خاسراً.
(٨) «عبد شمس» و«نوفل» و«تيم» و«مخزوم» أسماءُ البُطون من قُرَيْشٍ الذين توافقوا على كتابة صحيفة المقاطعة لِـ«بني هاشم» و«بني المُطلب».

بِتَفْرِيقهم من بَعْدِ وُدٍّ وأُلْفَةٍ
جماعتنا كيْما ينالُوا المحارما
كَذَبْتُمْ - وبيْت اللّه - تُبزى محمداً
ولَمّا تروا يَوْماً لدى الشِّعْب[1] قائما

كَيْف نُقضت الصَّحيفة؟

وماذا قال «أبو طالبٍ» في شأنهما؟

قال «ابن إسحاق المطلبِي»[2]:

هذا و«بنو هاشم» و«بنو المطّلب» في منْزِلِهم[3] الذي تعاقَدَتْ فيه قريْش عليهم في الصحيفة التي كتبوها.

ثم إنه قام في نَقْض تلك الصحيفة نَفَرٌ من قريش، ولم يبْل فيها أحدٌ أحسن من بلاءِ «هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن نَضر بن جُذَيمة بن مالك بن حسْل بن عامر بن لؤي» وذلك أَنَّه كان ابن أخي «نَضْلة بن هاشم بن عبد منافٍ» لأُمِّه، وكان «هشام» لـ«بني هاشم» واصلاً، وكان ذا شرفٍ في قوْمه، وكان فيما بلغني يأتي بالبعير

(١) الشِّعْب: الطريق بَيْن جبليْن، أو الوادي، وقد عُرِف هذا الشِّعْب الذي حُوصر فيه المسلمون و«بنو هاشم» و«بنو المطلب» بـ«شِعْب أبي طالب».

(٢) «محمد بن إسحاق المطلبيّ»: شيْخ كُتّاب السيرة. [البداية والنهاية] [ج: ٣] [ص: ١١٩].

(٣) شِعْب «أبي طالبٍ».

ـ و«بنو هاشم» و«بنو المطلب» ـ في الشّعْب ليْلاً. قد أَوْقرَهُ طعاماً، حتى إذا بَلَغ به فَمَ الشّعب، خلَعَ خطامه من رأسِهِ ثم ضَرَب على جنبيْه، فدخل الشّعْب عليهم، ثم يأتي به وقد أوْقَرَهُ بُرّاً فيفعل به مثل ذلك.

ثم إنه مشى إلى «زُهَيْر بن أبي أُمَيَّة بن المغيرة بن عبد اللّه ابن عمر بن مخزوم»، وكانت أُمّه «عاقلة بنْتُ عبد المطلب»، فقال: يا «زُهَيْر» أَقَدْ رضيت أن تَأْكُلَ الطعام، وتلبس الثياب، وتنكح النساء، وأخوالك حيْث علِمْتَ لا يُباعون ولا يبْتَاعُ منهم، ولا ينكحونَ ولا يُنْكح إليهم؟ أما إني أَحلِفُ باللّه لو كانوا أخوال «أبي الحكم بن هشام» ثمّ دَعَوْته إلى مثْل ما دعاك إليه منهم، ما أجابكَ إليه أبداً!!!

قال: ويحك يا «هشام».! فماذا أصْنَع؟ إنما أنا رجُل واحد، واللّه لو كان معي رجُلٌ آخر لَقُمْتُ في نَقْضها: [أي الصحيفة]

قال: قد وَجَدْت رجُلاً، قال: من هو؟ قال: أنا، قال زهيرٌ: أَبْغنا ثالثاً...! فذهب إلى «المطعم بن عدي» فقال له: يا «مطعم» أقد رضيت أن تهلك بطنان من بني «عبد مناف» وأنْت شاهد على ذلك، موافق لِـ«قريش» فيه، أما واللّه لئن أمكنْتموهم من هذه لتجدنَّهُم إليها منكم سراعاً...! قال: وَيْحك!!! فماذا أصنع؟ إنما أنا رجُل واحد...، قال: قَدْ وَجَدْتُ لك ثانياً، قال: من هو؟ قال: أنا، قال: أبْغِنا ثالثاً، قال: قد فعلْت، قال: من هو؟ قال:

«زُهَيْر بن أبي أمية». . . ، قال: أبْغِنا رابعاً. . . ، فذهب إلى «أبي البختري بن هشام»، فقال له نحو ما قال لِـ «المطعم بن عدي». . . ، فقال: وهل تجد أحداً يُعين على هذا؟ قال: نعم، قال: من هو؟ قال: «زهير بن أبي أمية» و«المطعم بن عدي» وأنا معك. . ، قال: أبْغنا خامساً، فذهب إلى «زَمْعة ابن الأسود بن المطلب بن أسد» فَكَلمه، وذكر له قرابتهم وحقهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدْعُوني إليه من أحدٍ؟ قال: «نعم» ثم سَمّى القوْم.

فَاتّعدوا خطم الحجون[1] ليْلاً بأعْلى مكة، فاجتمعوا هنالك، وأجمعوا أمْرَهم، وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى يَنْقضوها.

وقال «زهير»: أنا أبدؤكم، فأكون أوّل من يتكلّم، فلما أَصبحُوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا «زهير بن أبي أمية» عليه حُلَّة، فطاف بالبيْتِ سَبْعاً ثم أَقْبَل على الناس فقال:

«يا أَهْل «مكة». . . أَنَأْكُل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هَلكى لا يبْتاعون ولا يُبتاع منهم، واللّه لا أقعُد حتى تُشَقّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. . .

فقال «أبو جَهْل» ـ وكان في ناحيةٍ من المسْجِد ـ: واللّه لا تُشَق. . !

(١) خطم الحجون: موضع بأعلى مكة، وخَطْمُهُ: مقدمه.

فقال «زَمعَةُ بن الأسود»: أَنْت واللَّه أكْذبُ... ما رضينا كتابها حين كُتِبَتْ...!

وقال «أبو البخْتري»: صَدَق «زمْعة» لا نَرْضى ما كُتِبَ فيها، ولا نُقرُّ بِهِ...!

وقال «المطعم بن عدي»: صَدَقْتُما وكذب من قال غير ذلك...، نبرأُ إلى اللَّه منها، وبِمَا كُتِب فيها.

وقال «هشام بن عمرو» نَحْواً من ذلك...!

قال «أبو جَهْل»: هذا أَمْرٌ قد قُضِيَ بِلَيْل، تُشووِرَ فيه بغيْر هذا المكان.

قال «ابن إسحاق»:

و«أبو طالب» جالس في ناحية المسجد، وقام «المطعم بن عديّ» إلى الصحيفة ليشقَّها فوجَدَ الأَرَضة(١) قد أَكلَتْها إلا: [باسْمِكَ اللَّهُمَّ].

۞ ۞ ۞

وقال «ابن هشام»:

وذكر بعض أهل العلم: أن رسول اللَّه ﷺ قال لِـ«أبي طالبِ»: [يا عم إنَّ اللَّه قد سلَّط الأرضَة على صحيفة قريش،

---

(١) الأَرَضَة: دُوَيبةٌ صغيرةٌ تأكل الخشَب والثّياب وتعرف عند العامّة بـ«الْعِتّ».

فلم تدع فيها اسماً هُوَ للَّه إلا أثبتَتْه فيها، وكفتْ منها الظّلْم والقطيعة والبُهْتان].

فقال: أَرَبُّك أخْبَرك بهذا؟ قال: [نَعَم]. قال: فواللَّه ما يدخل عليْك أحد، ثم خَرَج إلى «قريش» فقال:

ـ يا معشر قريش... إن ابن أخي قد أخْبَرَني بكذا وكذا، فَهلُمَّ صحيفَتَكُم، فإن كانت كما قال فاْنتَهوا عن قطيعتنا واْنزلوا عنها، وإن كان كاذباً دفَعْتُ إليكم ابن أخي...! فقال القوْم: قد رضينا...، فتعاقدوا على ذلك...، ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول اللَّه ﷺ، فزادهم ذلك شرّاً، فعِنْد ذلك صَنَع الرهْط من قُريْش في نقْض الصحيفة ما صَنَعُوا.

۞ ۞ ۞

قال «ابن إسْحاق»:

فلما «مزّقَتْ وبَطَل ما فيها، قال «أبو طالبٍ»، فيما كان من أَمْر أولئك القوْم الذين قاموا في نقْض الصحيفةِ يمْدَحُهم:

ألا هل أتى بَحْرِينا[1] صُنْعُ ربّنا
على نَأْيِهم واللَّه بالناس أرْوَدُ[2]
فيُخبرهم أن الصحيفةَ مُزّقت
وأن كل ما لم يَرْضَهُ اللَّه مفْسد

(١) بَحْرِينا: المهاجرون إلى الحبشة عبرَ البَحْر.
(٢) أَرْودُ: أرْفَقُ.

تـراوحـهـا إفْـكٌ وسِـحْـر مُـجـمَّـع
ولـم يـلْـق سـحْـراً آخـر الـدهـر يـصـعـد
تـداعـى لـهـا مـن لـيس فـيـهـا بـقَـرْقَـرٍ
فـطـائـرهـا فـي رأسـهـا يـتـردَّدُ(١)
وكـانـت كـفـاء رقْـعـة بـأثـيـمـةٍ
لـيُـقـطـع سـاعـدٌ ومـقـلّـد
ويَـظـعَـنُ أهـل الـمـكـتـيـن فـيـهـربـوا
فـرائـصـهـم(٢) مـن خـشـيـة الـشّـرّ تُـرعِـدُ
ويـتـرك حـراث يـقـلّـب أمـره
أَيُـتْـهـم(٣) فـيـهـا عـنـد ذاك ويُـنْـجـدُ(٤)
فـمـن يَـنْـش مـن حـضّـار مـكَّـة عِـزَّةً
فـعِـزتُـنـا فـي بَـطْـن مـكَّـة أَتْـلـدُ(٥)
نـشـأنـا بـهـا والـنـاس فـيـهـا قـلائـل
فـلـم نـنـفـك نـزداد خـيْـراً ومـحـمـد
ونُـطـعِـمُ حـتـى يـتـرك الـنـاس فَـضْـلـهـم
إذا جـعـلـت أيـدي الـمـقـيـضـين تـرعـد(٦)

---

(١) القرْقَر: الليّنُ السَّهْل ـ يتردّد: حظها من الشؤم والشرّ.
(٢) فرائصهم: أطرافهم، أيديهم وأرجلهم.
(٣) أيُتْهم: يقصد «تِهامة». (٤) ويُنْجِدُ: يقصد نجداً.
(٥) ينش: يريد. أَتْلدُ: أقْدَم.
(٦) المقيضون: الضاربون بِقداح المَيْسر.

جزى اللّه رهْطاً بالحجُون تجمَّعوا
على ملاءٍ يهْدي لحزمٍ ويرشد
قعُوداً لِذي خطم[١] الحجون كأنَّهم
مقاولةٌ[٢] بل هم أعزّ وأمجَدُ
أعان عليها كل صَقْرٍ كأنَّهُ
إذا ما مشى في رفرَف الدِّرعِ أَحْردُ
جريءٌ على جلّ الخطوب[٣] كأنه
شهاب بكَفَّيْ قابسٍ[٤] يتوقَّدُ
من الأكرمين من لُؤيّ بن غالبٍ
إذا سِيم[٥] خسْفاً وجْهُهُ يتربَّدُ[٦]
طويل «النِّجاد»[٧] خارجٌ نِصْف ساقِهِ
على وجْهه يسقي الغمامُ ويُسعدُ
عظيم الرَّماد[٨] سيّد وابن سيِّدٍ
يحضُّ على مَقْرى الضيوف ويَحْشد
ويبني لأبناء العشيرةِ صالحاً
إذا نَحنُ طُفْنا بالبلاد ويمْهدُ

---

(١) خَطم الحجون: مَدْخل الشعْب.

(٢) مقاولة: أصحابُ قَوْلٍ صائب ومَنْطق.

(٣) جُلّ الخطوب: مُعْظمها. (٤) قابس: مِشْعل.

(٥) سيم خَسْفاً: نيلَ من كرامته. (٦) يتربَّد: يَسْوَدُّ غيْظاً.

(٧) طويل النِّجاد: طويل حمَّالة السَّيْف؛ كناية عن طولِهِ وبرُوزِهِ.

(٨) عظيم الرماد: كناية عن أن مواقِده للإطعامِ تظلُّ مشتعلةً؛ فيكثر رمادها.

ألــظَّ بــهــذا الــصُّــلْــح كــل مُــبــرَّإٍ
عــظــيــم الــلــواء أمــره ثــم يُــحْــمــد[١]
قَضوا ما مَضوا في ليلهم ثم أصْبَحُوا
عــلــى مَــهَــلٍ وســائــر الــنــاسِ رُقَّــد
هُمُ رَجعُوا سهل بن بيضاءَ راضياً
وشــرَّبــهــا «أبــو بــكْــرٍ» و«مــحــمَّــد»[٢]
مــتــى شــرك الأقــوام فــي جــلّ أَمــرنــا
وكُــنَّــا قــديــمــاً قــبــلــهــا نــتــودَّدُ
وكُــنَّــا قــديــمــاً لا نُــقــرُّ ظــلامــةً
ونُــدرك مــا شــئــنــا ولا نــتــشــدَّدُ
فيال قُصَيٍّ[٣] هل لكم في نفوسكم
وهــل لــكــم فــيــمــا يــجــيء بِــهِ غَــدُ
فــإنــي وإيَّــاكــم كــمــا قــال قــائِــلٌ
لــديــك الــبــيــان لــو تَــكــلَّــمَ أَســوَدُ[٤]

---

(١) ألَظَّ: ألَحَّ في طلب الشيء.
(٢) «سهل بن بيضاء» أخو «سُهَيْل بن بيضاء»، و«بيْضاء» أمهما سُمّيا باسمها، وهي: «دَعْد بنتُ جَحْدم»، أسلم بـ«مكَّة» وكتم إسلامه، وشهد بَدْراً مع المشركين، ووقع في الأسْر، فشهد له «عبد اللّه بن مسعود» أنه رآه يصلّي بـ«مكة» فخلّي عنه.
(٣) فيال قصَيّ: أي يا آل قُصي.
(٤) أي بيانكم أَسْوَد لأنَّه من مَنْبعٍ قَذِر.

وفاةُ «أبي طالب»

وهذه تقتضي مِنَّا الوقوف عندها والتأمُّل فيها!!!

قال «ابن إسْحاق»:

لمَّا هلك «أبو طالبٍ» نالت «قُريش» من رسول اللَّه ﷺ من الأذى ما لم تكن تَطْمَعُ به في حياةِ «أبي طالب»....، حتى اعترضَهُ سفيهٌ من سُفهاء «قريش» فَنثَر على رَأْسه تُراباً، فحدَّثني «هشام بن عروة» عن أبيه قال: فَدَخَل رسول اللَّه ﷺ بيْتَهُ والتُّراب على رأْسه، فقامت إليه إحدى بناتِهِ تَغسله وتبكي[١]، ورسول اللَّه ﷺ، يقول: «**لا تبكي يا بُنيَّة فإنَّ اللَّه مانعٌ أباكِ**» ويقول بيْن ذلك: «**ما نالت منّي قريش شيئاً أكرَهُه حتى مات «أبو طالب»**».

لقد كان «أبو طالب» عضُداً وحرْزاً في أَمْرِهِ ﷺ، ومنعةً لَهُ وناصراً على قوْمِهِ.

وقال «ابن إسحاق»:

ولما اشتكى «أبو طالبٍ» وبَلَغَ قريْشاً ثِقَلُهُ قالت قريش بعضها لبعضٍ: إن «حَمْزَة» و«عمر» قد أسلما، وقد فشا أمر «محمد» في قبائل قريش كلها، فأنطلقوا بنا إلى «أبي طالبٍ»

(١) الراجح أنها «فاطمة الزهراء» ـ رضي اللَّه عنها ـ.

فلْيأْخذ لنا على ابن أخيه، ولْيُعْطِهِ مِنَّا، فإنَّا واللَّه ما نأْمن أن يَبْتَزّونا أمرنا.

وقال «ابن إسحاق»:

وحدثني «العبَّاس بن عبد اللَّه بن معبد بن عباس» عن بعض أَهْله عن «ابن عباس» قال: لما مشوا إلى «أبي طالبٍ» وكلَّمُوه، وهم أشراف قوْمه: «عُتَبَةُ بن ربيعة» و«شيْبة بن ربيعة» و«أبو جَهْل بن هشام» و«أُميَّة بن خَلَف» و«أبو سُفْيان ابن حرْب» ـ في رجال من أشرافهم، فقالُوا: ـ يا «أبا طالب» إنَّك مِنَّا حيثُ قد عَلِمْتَ، وقد حَضَرَك ما ترى... وتَخوّفنا عليك، وقد علمتَ الذي بيْننا وبين ابن أخيك، فأدْعُه وخُذْ لنا مِنْهُ، وخُذْ له منا ليكُفّ عنَّا ولنكُفّ عنه، وليدَعْنا وديننا، ولندَعْهُ ودينَهُ.

فبعث إليه «أبو طالب»، فجاءَه، فقال: يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا إليْك ليعْطوك وليأخذوا مِنْك، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**يا عَم... كلمة واحدة تُعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم**»؛ فقال «أبو جهل»: نعم.. وأَبيك.. قال: [تقولون لا إلٰه إلا اللَّه وتخلعون ما تعبدون من دونه] فَصفقُوا بأيديهم...، ثم قالُوا: يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة إلٰهاً واحداً؟! إن أَمرَك لعَجب...، ثم قال بعضهم لبعض: إنَّه واللَّه ما هذا الرَّجُل بمعطيكُم شيْئاً مما

تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم اللَّه بينكم وَبيْنَهُ، ثم تفرَّقوا.

❁ ❁ ❁

فقال «أبو طالب»:

ـ واللَّه يا ابن أخي ما رأيْتُك سَألْتَهُم شططاً...!!

عندئذٍ طَمِع رسُول اللَّه ﷺ فيه، فجعل يقول له: «**أي عَم... فأنْتَ قُلْها أسْتَحِلُّ لك بها الشفاعة يوم القيامة**».

فلما رأى حرْص ابن أخيه رسول اللَّه ﷺ، قال:

ـ يا ابن أخي واللَّه لوْلا مخافة السُّبَّة عليك وعلى بني أبيك من بعْدي، وأن تظن قريش أني إنما قُلْتُها جَزَعاً من الموْتِ لقُلْتُها، لا أقولها! إلا لأُسِرَّك بها...!

❁ ❁ ❁

فلما تقاربَ من «أبي طالب» الموت نظر «العباس» إليه يُحَرِّك شفتَيْه، فأصغى إليه بأذنهِ...، فقال: يا ابن أخي... واللَّه لقد قال أخي الكلمة التي أمرْته أن يقولها...!

فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لَم أسْمَع...**».

وهنا ـ عزيزي القارئ ـ نُسدِلُ السّتار على فُصُولِ حياةِ «أبي طالب»، وموقفِهِ... وشِعْره... والنهاية التي انتهى إليها.

فهرس المحتويات